وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

محاضرات في مقياس

النظريات السوسيولوجية في التربية

السنة الأولى ماستر علم اجتماع التربية

إعداد الأستاذ: ضلوش كمال

فهرس المحتويات

الصفحات

الفصل الأول: النظريات الكلاسيكية في التربية

1. المقاربة البنائية الوظيفية 4

2. مقاربة الفعل الاجتماعي 12

3. المقاربة الماركسية التقليدية 19

4. المقاربة النقدية الراديكالية 27

قائمة المراجع 83

1. الكتب 83

2. المجلات 89

3. المذكرات والرسائل الجامعية 89

3. المواقع الالكترونية 90

الفصل الأول: : النظريات الكلاسيكية في التربية

1. المقاربة البنائية الوظيفية.
2. مقاربة الفعل الاجتماعي.
3. المقاربة الماركسية التقليدية.
4. المقاربة النقدية الراديكالية.

1. المقاربة البنائية الوظيفية:

تشغل هذه النظرية حيزا كبيرا من الفكر السوسيولوجي حيث اهتمت بدراسة المشكلات والظواهر التربوية في المؤسسات التعليمية التي تفاقمت في المجتمع، هذه الظواهر أو الحوادث التربوية هي وليدة الأجزاء أو الكيانات البنيوية التي تظهر في وسطها وأن لظهورها وظيفة اجتماعية لها صلة مباشرة أو غير مباشرة وبناءً على هذا يمكن النظر في طبيعة المؤسسات التربوية ومنها الجامعة على أنها أنساق اجتماعية كلية تتكون من مجموعة وحدات متمايزة ومتكاملة تعمل معا لتحقيق أهدافها التربوية والتعليمية في المجتمع لضمان بقاءه واستقراره الاجتماعي.

ولقد ساهم رواد هذه النظرية أمثال " دوركايم، بارسونز، روبرت ماكيفر " بآرائهم وتحليلاتهم حول المؤسسات التربوية والنظام التعليمي بمختلف وحداته بما في ذلك المؤسسة الجامعية، وركزوا على الدور الأكبر والوظيفة المثلى التي تقوم بها الجامعة كتنظيم ينطلق من وجود تبادلات وتفاعلات بين أفراد التنظيم نفسه وبين هذا التنظيم والبيئة الخارجية، إضافة إلى محاولة معرفة مدى تأثير هذا النظام على باقي الأنظمة الاجتماعية الأخرى.

وفيما يلي سنشير إلى أهم مفكري ومنظري هذه النظرية:

- **إميل دوركايم**:

يعتبر إميل دوركايم " أول من مثل جمهور علماء الاجتماع في بلورة الاتجاه الاجتماعي في مجال التربية والتعليم، وتكشف لنا تصوراته وآرائه أنه لم يركز على دراسة الجامعات بصفة أساسية بقدر ما جاءت كتاباته ليعبر عن أهمية نظام التعليم و وظيفته في نقل معايير وقيم المجتمع من جيل إلى آخر وتحقيق التجانس له."[1]

ولقد ناقش دوركايم العديد من القضايا التربوية، حيث اهتم بدراسة مشكلات التربية والتعليم في فرنسا ولاسيما قضية المنهج ونوعية المقررات الدراسية التي تعطي للتلاميذ والطلاب سواء في المدارس أو الجامعات، كما عالج من خلال اهتماماته نوعية العلاقة المتبادلة بين المدرسة والمجتمع، ونوعية المكاسب الفردية التي يحصل عليها التلاميذ من خلال دراسة المقررات والمناهج الدراسية، حيث رأى أن " الاختلاف في الظروف الاجتماعية والثقافية والدينية تلعب دورا كبيرا في تنوع البرامج التربوية والتعليمية التي توجد في هذه المجتمعات والتربية في نظره ليست ظاهرة الستاتيكية (ثابتة) بل هي ظاهرة ديناميكية متحركة، والمدرسة من المؤسسات الاجتماعية التي تستطيع بواسطتها المجتمعات أن تغير وتتغير، وتتحول من أشكالها البدائية إلى أشكالها المتحضرة. " [2]

---

[1] – شتا السيد علي، عمر الجولاني فادية: علم الاجتماع التربوي، مكتب الإشعاع، مصر، 1997، ص 90.

[2] – الثبتي عبد الله سالم: علم اجتماع التربية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2002، ص39 ص40.

أي أن دوركايم حرص على فكرة عدم وجود نمط تعليمي موحد نموذجي تتفق عليه وتقره جميع المجتمعات، لأن الحاجات الاجتماعية تختلف من مجتمع إلى آخر وتلعب دورا أساسيا في تشكيل وبناء محتويات البرامج التربوية والتعليمية.

كما أقر دوركايم بضرورة تحديد طبيعة التخصص وتقسيم العمل وخلق تخصصات علمية وأكاديمية ومهنية يتطلبها بناء المجتمع الحديث، ورأى أن " المؤسسة الرائدة في جعل التعليم تخصصيا هي الجامعة، باعتبارها المؤسسة الوحيدة التي بإمكانها تكوين مهارات عالية التخصص لتوفير التنوع والاختلاف الذي يقوم عليه التكامل في *المجتمع وذلك عن* طريق إكساب الأفراد والمهارات النوعية الضرورية اللازمة للمهنة التي سوف يقومون بها مستقبلا لتحقيق مبدأ تقسم العمل، "الأمر الذي من شأنه خلق تعاون وتضامن في الحياة الاجتماعية للأفراد. "[1]

وتعتبر القضية بين المدرس والتلميذ من القضايا الهامة التي تناولها بوضوح في معرض تحليلاته عن النظام التعليمي مستخدما مدخله السوسيولوجي التربوي المميز من خلاله تحليله للوظيفة النقدية للتربية والعملية التعليمية، كما ركز بصورة أخص على أهمية المدرس ودوره باعتباره العميل الأخلاقي الأعظم الذي يعطي المجتمع الصلاحيات اللازمة لعمليات

[1] – براهيمي وريدة: المعوقات الاجتماعية للأستاذ الجامعي وأثرها على أهداف المؤسسة الجامعية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005/2004، ص 19.

التنشئة الاجتماعية، وهو " ممثل الدولة والقيم الأخلاقية بالمجتمع، إذ أن دوره يتطلب التأكيد على القيم والمبادئ الأساسية ومساعدة التلميذ على اكتسابها." 1

كما حرص دوركايم على مناقشة طبيعة العلاقة بين الدولة والنظام التعليمي، حيث أشار إلى أهمية الدولة في تحديد إيديولوجيتها، وضرورة حرصها على التخطيط العلمي والسيطرة شبه الكاملة على المدارس ومنها الجامعات لأن هذه المؤسسات التعليمية لها دور تنظيمي كبير وهم، وهي إحدى المؤسسات الساهرة على تنشئة الأفراد وخلق روح التضامن الاجتماعي في الحياة الاجتماعية ككل، كما أنها المسؤولة إلى جانب الأسرة عن تنمية المهارات الفردية وتكوين الشخصية وإكساب الأفراد المعايير و السلوكات المجتمعية السليمة.

لكن بالرغم من أن دوركايم كان يهدف إلى صياغة تصوره الاجتماعي في مجال التربية والتعليم، إلا أن أفكاره لم تخل من النقد بحيث أهمل دور التلميذ كفاعل تربوي مهم في المنظومة التعليمية وركز بشكل كبير على المدرس الذي اعتبره حجر الزاوية في المدرسة، وربط نجاح النظام التعليمي بنجاح المدرس في أداء أدواره و وظائفه على أكمل وجه.

[1] – حمدي علي أحمد: مقدمة في علم الاجتماع التربية، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية، 1995، ص 129.

- **تالكوت بارسونز:**

لقد استخدم بارسونز بكثرة مفهوم النسق الاجتماعي وبدأ تناوله في تحليله للمؤسسات الاجتماعية وخاصة المؤسسات التي تحرص على استقرار النسق الاجتماعي مثل المدرس وذلك في مقاله الشهير " المدرسة كنسق اجتماعي "، وقد عبر في إطار نظريته العامة عن النسق والفعل الاجتماعي ومن خلال تحليلاته الوظيفية أن الجامعة هي التنظيم الأم، " وأن التعليم يحدد أنواع الالتزام، فالتعليم الأولي يؤكد الالتزام بتشرب و استدماج القيم الاجتماعية للمجتمع، أما التعليم الثانوي والجامعي فيساعد على تحديد نمط الدور التخصصي الذي يشغله الفرد في مرحلة الرشد " [1] ، إضافة إلى تحليله بعض مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتي تسعى في ذلك إلى تقييم الدور الوظيفي لهذه المؤسسات خاصة بعد تفاقم المشكلات الناتجة عن عجز هذه المؤسسات في عملية التنشئة الاجتماعية.

كما اهتم بارسونز " بدراسة وظيفة الجامعة في المجتمع باعتبارها نسقا اجتماعيا يسعى لتحقيق التكامل الاجتماعي والمهني والعلمي ككل، ولكونها مركبا تنظيميا للمعرفة لأنها تغذي جميع المؤسسات والتنظيمات الأخرى بالكوادر الفنية والمهنية الأكاديمية، ومن ناحية أخرى يؤكد بارسونز على ضرورة دراسة الجامعة مثل الأنساق الفرعية، التي لا يمكن فهم أدوارها الوظيفية والبنائية إلا في ضوء سياقاتها الاجتماعية والثقافية وعلاقتها المتبادلة مع

[1] – المرجع السابق، ص 132.

الأنساق الفرعية الصغرى، التي تكون في مجملها طبيعة النسق الاجتماعي الكبر وهو المجتمع. " [1]

وكان تركيز بارسونز على هذه المؤسسات وضرورة دراستها لأنها تقوم على دور وظيفي كبناءات اجتماعية لها أهداف محددة والأفراد الذين يلتحقون بها يمكثون لفترات طويلة تفوق في كثير من الأحيان الفترات التي يقضيها هؤلاء الأفراد مع أفراد أسرهم، يشغلون أدوارا اجتماعية منتظمة داخل المجتمع.

واعتبر بارسونز الجامعة بأنها المكان الذي يمثل جزءًا من " الجوانب المعرفية للمجتمع والبنايات الاجتماعية الثقافية، حيث اهتم بالجماعات المهنية التي عمل في الجامعات مركزا على أهمية التدريب المهني والفني باعتبارهما أساس تطور الكفاءة المعرفية، كما أكد على أهمية التخصص الأكاديمي وعلى أهمية العلاقة بين العملية التعليمية وأنشطة البحث العلمي، فالجامعة بمثابة تنظيم أكاديمي يشبه المجتمع المحلي المتماسك (نسق فردي) والذي عليه تأدية وظائفه في المجتمع. " [2]

كما أشار بأهمية العملية التربوية داخل المؤسسات التعليمية، والتي تسعى إلى الوصول إلى اكتشاف الطريقة المنظمة لإشباع وتطوير حاجات الفرد الشخصية انطلاقا من

---

[1] – عبد الله محمد عبد الرحمان: سوسيولوجيا التعليم الجامعي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1991، ص 113.

[2] – فني غنية: التغيرات التنظيمية وأثرها على التحصيل الدراسي في الجامعة الجزائرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005/2004،ص 28.

اكتساب الثقافة ومقومات النسق الاجتماعي من خلال العملية التربوية وعن طريق مؤسسات النظام التربوي، وينتج عن هذه العملية شخصية اجتماعية محافظة على القيم، لها مكانتها في شبكة الأدوار الاجتماعية، هذه المكانة وتطور حاجات الفرد الشخصية، فالمؤسسة التعليمية ومنها الجامعة هي مؤسسة تربوية ذات فعالية يتم عن طريقها تدريب الأفراد ليكونوا مهيئين لتأدية الأدوار المنوطة إليهم والتي تساعدهم مستقبلا على الاندماج في مجتمعهم وفي مؤسسات عملهم إضافة إلى تربية وتنشئة الفرد من خلال تعديل سلوكه والالتزام بالقيم والعادات الاجتماعية.

وحاول بارسونز أن يفرض نظام الجامعة الأمريكية وطبيعة وظائفها المتعددة في المجتمع، فنجده يركز على خاصية التخصص كإحدى السمات العامة التي يتصف بها المجتمع الحديث، حيث يعتبر التخصص هو المحك الأساسي الذي يمكن عن طريقه فهم طبيعة التباين بين المستويات المهنية الأكاديمية باستخدام ما يسمى عمليات الاتصال التنظيمي المهني بالجامعات، ويشير إلى أهمية إثراء هذه العملية، باعتبارها العامل الأول الذي يؤدي إلى استمرارية وجود هذه الجامعات. [1]

[1] – براهيمي وريدة: مرجع سابق، ص 22.

والجامعة حسبه " ليست مكانا للتدريس أو الذي يطلق عليه التعليم العالي، ولكن لها أيضا مجموعة متنوعة من الوظائف القيمة، وعلاوة على ذلك لها وظائف أخرى، مثل وظيفة البحث أو ما يسمى بتطوير وتقدم المعرفة. " [1]

هذا التطور والتقدم حسب بارسونز يكون من خلال التنسيق والتعاون مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى، فالجامعة هي التنظيم الأساسي في المجتمع والقادر على حل مشكلاته ومن ثمة الحفاظ على بقاءه واستمراره.

وبالرغم من أصالة أفكار بارسونز إلا أنه يصعب تبيينها في مجتمعات أخرى لأنها مستوحاة من المجتمع الأمريكي الذي له خصوصيات تختلف عن خصوصيات المجتمعات الأخرى.

وخلاصة يمكننا القول أن النظرية البنائية الوظيفية التي تبناها الكثير من علماء الاجتماع في تحليلهم وتفسيرهم للنظم والمؤسسات التربوية على مختلف المستويات سعت إلى الإسهام السوسيولوجي في مجال التعليم العالي، بما في ذلك الجامعة وكذا إبراز وظيفة الجامعة ودورها الأساسي والرائد في المجتمع، ومن منطلق تحليلاتهم وأطرهم الفكرية، رأوا أن الجامعة كنسق تسعى لحفظ التوازن والاتفاق والاستقرار والتكامل في المجتمع، والتعليم هو ميكانيزم يمكن أفراد المجتمع من التكيف مع الحياة الاجتماعية.

---

[1] – الجولاني فادية عمر: علم الاجتماع التربوي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1997، ص 69.

2. مقاربة الفعل الاجتماعي:

إن نظرية الفعل الاجتماعي تتعلق أساسا بتفسير وتأويل السلوك الإنساني بأنه سلوك هادف، والفعل الاجتماعي هو الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع حسب رواد هذه النظرية، وعلم الاجتماع (حسب المعنى المفهوم هنا لتلك الكلمة التي تستخدم بمعان متعددة) هو "علم يهدف إلى فهم الفعل الاجتماعي بطريقة شارحة ويفسر أسبابه في تتابعه وتأثيراته. والفعل هو هنا سلوك إنساني (سواء كان فعلا خارجيا أو داخليا، تخليا أو قبولا)، كلما وبالقدر الذي يربط به القائم بالفعل أو القائمون به معنى ذاتيا، يجب أن يكون الفعل الاجتماعي ذلك الفعل الذي يتبع في معناه المقصود من قبل فاعله أو فاعليه سلوك أفراد آخرين ويتوجه في تتابعه حسب ذلك" [1]

وعليه فإن السوسيولوجيا تتناول على الخصوص الفعل الاجتماعي في أي مؤسسة اجتماعية، سواء كانت سياسية، اقتصادية، مالية، تربوية...إلخ، وكل فعل داخل هذه الأنماط من المؤسسات له خصوصياته ومداخله وتأويلاته، ففي المؤسسات الاجتماعية التربوية التي هي محور اهتمامنا نجد أن الفعل التربوي هو فعل اجتماعي في الأساس والظاهرة التربوية في الأصل هي ظاهرة اجتماعية بامتياز، "فالفعل التربوي بطابعه العام هو فعل ينتج ثقافيا واجتماعيا من

[1] – ماكس فيبر: مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة صلاح هلال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص ص 28 29.

جهة، ويعيد إنتاج ما هو اجتماعي وثقافي من جهة أخرى" [1] ، لكن ما يمكن الإشارة إليه أن هذا الفعل التربوي تختلف عملياته وعناصره على الفعل الاجتماعي، لكن يتشارك معه في أنه سلوك ونشاط موجه نحو الآخرين مبني على علاقات اجتماعية وتبادلات اجتماعية تحقق نوع من الإشباع لهؤلاء الفاعلين.

وخلاصة لهذا كله، فإن اهتمامنا بالتربية يدفعها إلى دراسة الفعل التربوي في هذه المقاربة كفعل اجتماعي له خصائصه وإسقاطاته داخل المؤسسات التربوية بالرجوع دائما إلى أهم أفكار ومعتقدات ورؤى منظري هذا الاتجاه.

- **ماكس فيبر وقراءته السوسيولوجية:**

يعتبر ماكس فيبر مفكرا عظيما ومعقدا، وكاتبا غزير الإنتاج، له العديد من الدراسات في سوسيولوجيا الأديان والمناهج والفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع والإدارة، وهو من أكبر المنظرين الاجتماعيين قوة وتأثيرا وشهرة، حاول قدر الإمكان دراسة المجتمع وتفسير الظواهر الاجتماعية بالتركيز على الفعل الاجتماعي بدلا من البنية الاجتماعية على اعتبار أن هذا الفعل هو سلوك إنساني يضفي عليه الفاعل معنى ذاتيا، كما أشار إلى أن الفرد أو الفاعل هو وحدة التحليل الأساسية في المجتمع، وعن طريق فهم سلوك هؤلاء الفاعلين يكمن تفسير الظواهر الاجتماعية.

---

[1] – المرجع السابق، ص 166.

ولفهم النظرية الاجتماعية عند ماكس فيبر يجب التعرف على المفاهيم والمقولات التي اعتمد عليها في تحليله للمؤسسات الاجتماعية مثل الفهم، الفعل الاجتماعية، العقلانية، البيروقراطية...الخ هي المفاهيم حاول ماكس فيبر إسقاطها على النظم والمؤسسات التربوية من خلال اعتماده على المنهج التاريخي المقارن.

ولقد ميز فيبر بين أربعة أنماط أساسية من الفعل الاجتماعي أو النشاط الاجتماعي؛ وهي:

1) **الفعل التقليدي**: والذي يتعلق بالعادات والتقاليد والمعتقدات التي يتم اكتسابها من خلال المجتمع.

2) **الفعل الوجداني أو العاطفي**: وهو الفعل الذي توجهه العواطف والرغبات أو الأمور الوجدانية الغير موجهة بهدف أو غاية معينة.

3) **الفعل العقلاني**: وهو "أداتي يتجه صوب هدف نفعي وينطوي على المواءمة بين الغايات والوسائل...فالاستراتيجي عقلاني من باب أن يرتب بالشكل الأفضل جدوى فعله ويوجهه صوب هدف مادي" [1]

[1]- فيليب كابان، جان فرانسوا دورتيه: علم الاجتماع-من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات-، ترجمة إياس حسن، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص48.

4) الفعل العقلاني القيمي: وهو الفعل الذي يرتبط بقيمة معينة، حيث أن كل فعل يقوم به الفاعل الهدف منه هو الحصول على القيم أو قيم أخلاقية.

وفي تصور فيبر فإنه لكي نفهم "الفعل الاجتماعي التربوي ينبغي أن نربط السلوك المباشر بالسلوك التاريخي أو السابق وعليه فالسلوك الخالي من المعنى الذاتي يظل دائما على هامش الدراسة السوسيولوجية والباحث هو الذي يستطيع ان يفسر دوافع الآخرين من خلال معرفة مقاصدهم" [1]

كما اهتم فيبر بدراسة سوسيولوجيا الأديان مثل البروتستانتية والكاثوليكية واليهودية والفارسية والإسلام...الخ، ورأى أن "الدين البروتستانتي هو الذي ساهم في ظهور النظام الرأسمالي الذي يدعو إلى العمل والمبادرة والتنافس وجمع الثروات وتنمية رأس المال...الخ وذلك وفق دوافع سيكولوجية ومبادئ أخلاقية مثل الحرص، والشح، والاستثمار والاقتصاد والادخار وحب العمل..."[2]

أما فيما يخص "الديانات الشرقية وخاصة الإسلام، فقد اعتبرها ديانات لا عقلانية، تسودها أفكار خرافية وسحرية معادية للعقل واللوغوس والمنطق، ولذلك لم تتطور الأوضاع

---

[1]- علي بوعناقة، بلقاسم سلاطنية: مرجع سابق، ص 167.

[2]- المرجع السابق، ص 49.

الاقتصادية في البلدان التي تنتشر فيها هذه الديانات، نظرا لافتقارها –كما يزعم فيبر– إلى العقلانية في التخطيط والتدبير والتنظيم والتفكير." [1]

ويصر ماكس على أن نجاح المؤسسات التربوية مرتبط بإتباعها النموذج البيروقراطي، والذي يتجلى في أنه "مجموعة ثابتة وصارمة من القواعد والعقوبات الجزائية والمكاتب التي تحكم المؤسسة ككل، والمسؤولية موكلة بصفة خاصة لبعض الموظفين ويتم تنفيذ الواجبات طبقا للائحة ثابتة، كما أن تنظيم المكاتب يتبع مبدأ التسلسل الهرمي" [2]

وتتمحور النظرية البيروقراطية حول دراسة المؤسسة ومنها الجامعة كنسق مغلق لا يتبادل التأثر مع المحيط الخارجي، كما تشير بصورة دقيقة إلى طبيعة الكفاءة الإدارية من خلال دراسة وظيفة المتغيرات التنظيمية والتي تتمثل في تقسيم العمل، التخصص الوظيفي، التسلسل الهرمي للسلطة...الخ، ويعتقد فيبر أن أي تنظيم بإمكانه الوصول إلى تلك الفعالية عند القضاء على العوامل الشخصية والعاطفية غير الرشيدة.

وقدم ماكس فيبر "رؤية للتربية في ضوء نظريته عن الكاريزما والعقلانية، وفي رأيه أن كل نسق للتربية يهدف إلى تلقين التلاميذ أسلوبا معينا للحياة يلاءم المكانة التي تشغلها

---

[1]– المرجع السابق، ص 50.

[2]– المنيف إبراهيم عبد اللطيف: الإدارة، المفاهيم، الأسس، المهام، دار العلوم، الرياض، 1980، ص 96.

جماعة معينة في بناء السيادة" [1] ، فالتقليديون مثلا يقومون بتنشئة وتربية اجتماعية قائمة على عادات وتقاليد وأعراف موروثة ومرتبطة بسلطة رجال الدين، أما العقلانيون فتربيتهم وأنظمتهم التعليمية تقوم على أسس وأنظمة رسمية، يكون النجاح في المؤسسة الاجتماعية عامة والمؤسسة التعليمية خاصة مرتبط بأداء الأدوار والوظائف والواجبات بكفاءة عالية وفي أحسن صورة، أما الكاريزماتيون فيربون أبناءهم على النشوة والقوة والمجد واكتساب المهارات والقدرات التي تجعلهم في أي مؤسسة فوق العادة من نظرائهم.

كما أن اهتمام فيبر "لم يكن محددا بتوضيح وتحديد أهداف و وظائف الأنساق التربوية بصفة عامة بل كان اهتمامه منصبا أساسا على تلك الأشكال التربوية التي تهدف إلى إعداد أعضاء الصفوة والطبقات الحاكمة في المجتمعات، ولذلك قلّما نجده يتحدث عن التعليم العام الحديث" [2]

وانطلقت إسهامات ورؤى فيبر حول الجامعات من خبرته كأحد أساتذة الجامعة حيث قام بدراسة وتحليل عدة جوانب تخص التعليم العالي والجامعة، حيث حاول إبراز نواحي القصور في الجامعة الألمانية من خلال مقارنته لنظام التعليم العالي الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا، وتطرق إلى مشكلة العملية التعليمية وطرق التدريس الجامعي ونوعية

---

[1]- دباب زهية: دور المؤسسات التربوية في مواجهة العنف المدرسي في الجزائر، رسالة دكتوراه غير منشورة في علم الاجتماع التربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015/2014، ص185.

[2]- حسين عبد الحميد أحمد رشوان: التربية والمجتمع -دراسة في مجتمع التربية-، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2002، ص134.

الحياة الجامعية للطلاب، والعلاقة بين الجامعة والمجتمع، إضافة إلى " العلاقة الموجودة بين الدولة والجامعة والتي اتسمت بالتضييق والقيود الكثيرة التي تفرض على أساتذة الجامعات، وجعلهم تحت الإجراءات السياسية البوليسية، ودور الأستاذ الجامعي في قاعات التدريس و خارجها والجامعة واهتمامها بالقضايا السياسية أو ما يعرف بتسييس الجامعة، وقضية الحياد الأخلاقي والمسؤولية المهنية لأساتذة الجامعات. " [1]

كما تطرق فيبر إلى مشكلة الحرية الأكاديمية واعتبرها قضية هامة في التعليم العالي باعتبار أن المسؤولية الأكاديمية للجامعة تتطلب ممارسة حقها في مساعدة الطلاب على التأهيل للحياة العلمية والعملية المستقبلية وهذا جزء من واجبات الجامعة. [2]

ورغم كل هذا لم ينج فيبر من النقد، لأن نظريته تحمل الكثير من التناقضات منها المناداة إلى الحرية في المؤسسة من جهة والمناداة إلى إتباع الإجراءات التنظيمية التي تعيق الإبداع والمبادرة مثل تقسيم العمل والسلطات والتخصص الوظيفي من جهة أخرى، إضافة إلى دراسته للمؤسسات ومنها الجامعة كنسق مغلق في حين نجد أن الجامعة تؤدي دورها و وظيفتها على أكمل وجه عندما تكون نسقا مفتوحا على باقي الأنساق الفرعية الأخرى.

---

[1] – عبد الله محمد عبد الرحمان: مرجع سابق، ص 100.

[2] – المرجع السابق، ص 103.

لكن ورغم الانتقادات يبقى هذا النموذج على درجة من الأهمية وأداة وتصور نظري يمكن تطبيقه في أي واقع تنظيمي، وأية مؤسسة يمكن تحليلها وفق هذا النموذج.

3. المقاربة الماركسية التقليدية:

جاءت الماركسية كاتجاه لوضع أساسات الارتقاء بالمجتمع وتفسير السلوك الإنساني اعتمدت في ذلك على أصول فلسفية تختلف عن أصول باقي المقاربات النظرية الاجتماعية.

وتتركز أعمال الماركسيين على مفهوم الجدل "فن المناقشة" الذي يساعدنا على معرفة طرق التفسير وإقامة البراهين وقواعد النقاش والحوار، والمادية الجدلية ترى "أن الطبيعة ليست حاصلة من تراكم الأشياء تراكما عفويا، بل إنها مترابطة يؤثر بعضها في بعض، وأنها ليست ثابتة بل في تغير مستمر ينتقل من تغيرات كمية إلى تغيرات كيفية ظاهرة ومهمة، وهي سريعة وفجائية وتحصل بالضرورة" [1]

كما تستمد الماركسية التقليدية أفكارها ومعتقداتها من أفكار "كارل ماركس" و "فريديريك إنجلز" ونظريتها المعروفة حول المادية الجدلية التاريخية أي نظرية الصراع التي تقوم على الثورة والصراع بين الطبقات الاجتماعية (طبقة مالكي وسائل الإنتاج وطبقة العمال) لتحرير المجتمع

[1]- جعنيني حبيب نعيم: علم اجتماع التربية المعاصر بين النظرية والتطبيق، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص 28، ص 29.

من كل أشكال الاستغلال الطبقي وسيطرة بعض الجماعات الاجتماعية على حساب الأخرى.

إضافة إلى كل هذا فإن الماركسيين يعتبرون أن المدارس في النظام الرأسمالي تجعل النظام الاقتصادي يبدو شرعيا، وأن النظام التعليمي والتربوي كمجال اجتماعي ينتمي إلى البنية الفوقية ما هو إلا شريك رئيسي في إعادة إنتاج ما تصبو إليه الطبقة الحاكمة والمسيطرة في المجتمع الرأسمالي من إعادة لإنتاج العلاقات والطبقات الاجتماعي السائدة.

وتهدف التربية الماركسية إلى تكوين وتهيئة أفراد صالحين يؤمنون بالفكر الشيوعي قادرين على العمل والمساهمة في الإنتاج، إضافة إلى تربية الصغار وتزويدهم بالمعلومات والعلوم والمهارات المهنية والتكنولوجية المساعدة في الإنتاج الصناعي والإنتاج الاجتماعي.

كما ترتكز هذه التربية عند الماركسيين على مجموعة من الفاعلين في العملية التربوية والتعليمية بدءًا من المتعلم الذي لابد أن يحترم معلمه والعادات الماركسية ومحبّا للعلم وباحثا ومشاركا في الحياة الاجتماعية من خلال معرفة حقوقه و واجباته، ثم المعلم الذي "لابد أن يكون مؤمنا بفلسفة الدولة الاجتماعية ومتفهما للنظام الماركسي...ذو سلوك اشتراكي ماركسي داخل وخارج المدرسة...ذو ثقافة جامعة...وفي طليعة العناصر الوطنية الشاعرة بمسؤوليتها

الاجتماعية..." [1] ، ثم المنهج من خلال توحيد المقررات الدراسية التي توضع لإكساب المتعلمين المعارف والعلوم التي تزيد من مستواهم والمبادئ التي تخدم التربية الماركسية، وصولا إلى الأنشطة التربوية (الصفية واللاصفية) والتي يشارك فيها جميع الفاعلين بهدف تنمية المواهب والقدرات، وأخيرا طرق التدريس التي لابد أن تعتمد على " أساليب التدريس الجماعية كأسلوب التعاونيات والابتعاد عن الطرق الفردية ...إضافة إلى توفير الوسائل التعليمية المناسبة...وعدم الاكتفاء بالتدريس المحصور داخل جدران الصف المدرسي ليتعداه إلى التعليم الاشتراكي بعد انتهاء فترة الدراسة " [2]

- **كارل ماركس وإسقاطاته في المجال التربوي:**

ولد ماركس من أسرة يهودية ألمانية واعتُبر من أهم المنظرين الذين كان لهم فضل في نشأة علم الاجتماع من خلال تفسيره بأن الظواهر الاجتماعي لا تُسيّر بطريقة عفوية أو تلقائية وإنما بتأثير عوامل وقوانين تؤثر فيها، وكرّس ماركس حياته لفحص ودراسة الإنسان في علاقته على المجتمع، وهذا الإنسان قابل للتطور والتحول لكن في إطار الجماعات والطبقات.

[1]- ناصر إبراهيم: فلسفات التربية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص 362.

[2]- أصول التربية، الفلسفة الماركسية، موقع سابق.

ولقد ركز على عدة مفاهيم مثل الصراع والقوة...الخ، فالصراع عنده نشأ بين "الجماعات والطبقات وبين الأفراد نتيجة للاختلاف في المصالح بينهم من ناحية، ونتيجة لأن البعض يحاولون الوصول إلى أهدافهم وأغراضهم الخاصة من خلال استخدامهم للبعض الآخر كوسيلة للوصول إلى ما يهدفون إليه من ناحية أخرى كما أن القوة في المجتمع هي امتلاك وسائل الإنتاج، مؤشر التصنيف في طبقات هذا المجتمع مرتبط أساسا بمفهوم القوة والذي تسيطر عليه طبقة البورجوازيين التي تمتلك كل وسائل الإنتاج.

وقد قسم ماركس البناء الاجتماعي إلى مستويين، مستوى البناءات التحتية ومستوى البناءات الفوقية، ففي البنية التحتية نجد قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج ومالكي وسائل الإنتاج، والبنية الفوقية تتكون من المفاهيم والأنظمة السياسية والتربوية، التعليمية والأخلاقية والعقائدية والإيديولوجية...إلخ. والعلاقة بين البنائين هي علاقة تأثير وتأثر، فالبناء التحتي له تأثير كبير على البناء الفوقي من خلال وضع أساسات النظم الموجودة في البنية الفوقية، كما أن هذا البناء الفوقي يعمل على وضع العناصر والمخرجات والإمكانات التي تتحكم في ظروف الإنتاج الموجودة في البنية التحتية.

و وظيفة التعليم حسب تصورات ماركس له وظيفتين، فالوظيفة الأولى هي أنه أداة إيديولوجية في يد الطبقة الرأسمالية التي تعمل على تربية وتعليم الأفراد كيفية اكتساب الإيديولوجية الرأسمالية التي ترتبط بالمناهج و المقررات، وإخضاع الطبقة الكادحة والإبقاء

على امتيازات الطبقة الحاكمة، أما الوظيفة الثانية فهي أنه بفضل التعليم والمعرفة يتم تحرير أبناء الطبقة العاملة، مع إكسابها الإيديولوجية الشيوعية والإيمان بها، وضمان تعليم مجاني وموحد وموجه لجميع الناس حتى يرتقون في مستوياتهم المعرفية والمهارية التي تمنحهم القدرة على تحمل المسؤولية في المجتمع.

كما أن المدرسة والمعلم هما عبارة عن أنساق وأجزاء في البناء الفوقي تابعين لجهاز الدولة الإيديولوجي (الطبقة الحاكمة) هدفهم تعزيز ثقافة الطبقة المسيطرة وتكريس معتقدات وتمثلات فلسفة وإيديولوجية الطبقة الحاكمة و "تتحدد وظيفتها تبعا للنسق الاجتماعي المهيمن في حال هيمنة الرأسمالية تكون وظيفتها تسكينية للوضع القائم تكرس القيم المهيمنة وتحافظ على المصالح، وفي حال هيمنة البروليتاريا تكون وظيفتها تغييرية للوضع الرأسمالي وثقافة احتكار وسائل الإنتاج، ولن يكون المعلم بعد ذلك بوصفه خبرة إلا وهو تابع لهذه الطبقة المهيمنة أو تلك" [1]

فدور التعليم إجمالا هو تزويد وإكساب الأفراد أنواع المعرفة التي تزيد من مهاراتهم وكفاءاتهم والتي تساعد على توجيههم للحياة الاجتماعية، كما أن هذا التعليم يخدم مصالح الفئة المسيطرة اقتصاديا وإيديولوجياً ويساعد أيضا على الإيمان بكل أفكار ومعتقدات الدولة ومصالحها والارتباط بها ارتباطاً وثيقاً.

[1] – مشطر حسين: الوظيفة الاجتماعية للمدرسة وشروط كفايتها التدريسية في ضوء معايير الجودة التعليمية، أطروحة دكتوراه علوم في علوم التربية غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2015/2014، ص 59.

أما فيما يخص الدين فإن ماركس ينكر إنكاراً شديدا بوجود الإله والغيبيات، وكل ما يتعلق بذلك ما هو إلا وعي زائف يلجأ إليه الإنسان حين يصيبه الضعف والهوان أمام واقعه الطبيعي ونظامه الإنتاجي، ويستعمله أيضا حين يشعر بالبؤس والعجز أو يفتقد شيء ما، وبالتالي فإن الهدف من ذلك هو تهدئة النفس الضعيفة والمضطهدة والغير قادرة على مواجهة تجليات الحقيقة إضافة إلى محاولة الهروب من الواقع باستخدام هذا الوعي المزيف والذي يتخيل الإنسان فيه بوجود قوة غيبية يسميها الإله، ويقول ماركس في ذلك بأن "الدين، بالطبع تعبير عن وعي الإنسان وشعوره حينما لا يجد ذاته أو يفقدها مرة أخرى...(الدين) هو الوجود الوهمي، (يتخيله الإنسان) كلما افتقد وجوده الحقيقي. وعليه فإن الحرب على الدين هي، وبطريق غير مباشر، حرب على مثل هذا الوجود (الوهمي) الذي تقوم نكهته الروحية على الدين" [1]

ويصر ماركس على أن الإنسان لابد أن يكون متحررا من كل أشكال الوعي الزائف، وقوانين الأنظمة الاجتماعية مثل الأسرة والتي يراها "نموذجا للأنظمة التي يصنعها الإنسان لنفسه في حالة اغترابه وفقدانه للوعي بوجوده الحقيقي، كما أنها من النماذج الفردية التي

[1]- كرار خديجة الشيخ الطيب بدر: الأسرة في الغرب أسباب تغيير مفهومها و وظيفتها، دراسة نقدية تحليلية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2009،ص175.

صنع لها الإنسان مقابلا غيبيا يكسبها مشروعية وجودها، وخلاص الإنسان من هذا الوضع يكون بتدمير كل الأنظمة ولاسيما تلك التي لها مقابل غيبي مثل الأسرة" [1]

وفي هذا الإطار يدعو ماركس لإلغاء الأسرة التي تتكون من زوج وزوجة وأبناء لأنها نظام ابتدعه الإنسان يحمل في طياته نوع من العبودية، وهي حالة شاذة ناتجة عن تطور وسائل الإنتاج، كما العلاقات الأسرية وعلاقات الزواج هي علاقات تؤدي إلى الصراع والتنافس وفرض قرارات أسرية بالقوة واحتكار السلطات في يد شخص واحد (الأب)، هذه الأشياء يمكن اعتبارها شكل من أشكال الاضطهاد، واستخدام القوة ضد الآخرين وتجريدهم من الحريات التي يتمتعون بها.

- **فريديريك إنجلز وإسقاطاته في المجال التربوي:**

هو ألماني ينحدر من أسرة غنية، كان معجبا بفلسفة "هيجل" ورافضا للأفكار الميثالية، توطدت علاقته بماركس في باريس، من أشهر مؤلفاته "أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة".

[1]- المرجع السابق، ص 177.

اِعتبر إنجلز الدين بأنه تأملات وتخمينات تأخذ الإنسان إلى الغيبيات والماورائيات، ويُعتبر المفكر الشيوعي الوحيد الذي قام بدراسة الأسرة دون الخروج عن معتقدات وأساسات النظرية الماركسية، فالأسرة والدين يعتبران من التشريعات والأنظمة الوهمية.

وظهر نظام الزواج حسب إنجلز "مع تطور موارد و وسائل الإنتاج التي أدت إلى ظهور الاحتكار، أدّت الحاجة إلى الأيدي العاملة إلى ظهور احتكار النساء واستقلال كل رجل بأسرته تحت اسم الزواج، وأصبحت السلطة بيد الرجل، وأصبحت هوية الأبناء منسوبة إليه ومن ثم ظهر النظام الأبوي" [1]

وإجمالا لما سبق ذكره فإن المرأة في نظر إنجلز محرومة من حقها الطبيعي في العيش بحرية لأنها مقيدة بالزواج أو التشريعات الوهمية ولا تمارس حريتها الجنسية المطلقة وفق المفهوم الشيوعي على اعتبار أن الإنسان وضع قوانين غيبية تخالف طبيعته الحقيقية، كما أنها ضحية لنظام الأسرة والزواج الذي أدى إلى احتكارها واستعبادها.

ويرى إنجلز أن الحل الأول للخروج من هذه الأزمة يكون من خلال إلغاء نظام الأسرة والنظام الأبوي والتشريعات الوهمية الموضوعة من طرف الإنسان، وتحرير المرأة ومساواتها مع الرجل، إضافة إلى أن تطبيق البرنامج الشيوعي سيؤدي إلى "إلغاء مقومات النظام الرأسمالي وهي الاحتكار والملكية الفردية...وإلغاء كل مظاهر الاسترقاق الناجمة عن الاحتكار

[1] – المرجع السابق، ص 182.

كاسترقاق المرأة...وإلغاء ما يتصل به من تشريعات وأنظمة وهمية ولاسيما الأسرة والزواج...وإلغاء الاحتكار ونظام الأسرة المنبثق عنه سلطة الرجل والنظام الأبوي..."[1]

وختاما لكل ذلك فإن أصحاب هذا الاتجاه حاولوا إبراز الأنظمة والطبقات الاجتماعية التي يرتكز عليها المجتمع الرأسمالي إضافة إلى العلاقات والتفاعلات الاجتماعية الموجودة والتي يسودها التنافس والصراع في المؤسسات التربوية كالمدرسة والأسرة...الخ، لكن الانتقاد الموجه لأصحاب هذا الاتجاه هو دراسة هذه الأنظمة بشكل كلي أو نظرة كليانية لم تحترم فيها استقلالية وخصوصية هذه المؤسسات ولم تراعي المصلحة الفردية وربطتها فقط بالمصلحة الجماعية.

المقاربة النقدية الراديكالية وإسهاماتها في المجال التربوي (مدرسة فرانكفورت):

ظهر الاتجاه النقدي في علم الاجتماع كرد فعل على مجموعة من التيارات الإيديولوجية والفكرية المفسرة للعديد من الظواهر الاجتماعية والتي كانت تدعو إلى واقع اجتماعي ثابت ومستقر ومنظم تنظيما نهائيا وأزليا، حيث رأت أن هذا الواقع لابد أن يكون متغيرا وديناميكيا، به حركات اجتماعية تولد الصراع وتدعو إلى الحصول على واقع جديد ومغاير، ومخالف للوضع الاجتماعي القائم الذي يتصوره الرأسماليون من أنصار الاتجاه المحافظ.

[1]- المرجع السابق، ص 188 ص 189.

وتمثل مدرسة فرانكفورت الإطار الفكري والخلفية الإيديولوجية لأنصار هذه المدرسة النقدية، حيث ظهرت في السنوات الأولى من القرن العشرين بأوروبا و الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة "هوركهايمر" نتيجة لظروف اجتماعية وفكرية وثقافية...الخ ،و يلح هذا الاتجاه النقدي " على كشف الجذور الاجتماعية الموضوعية للامساواة في التربية، وأن نقدها شكل من أشكال التصحيح والتطوير وإن كان معقدا أو متشابكا" [1]

فأفكار هذه المدرسة هي عبارة عن رؤى وتصورات تركز على الممارسات الاجتماعية والسلوكات الإنسانية داخل المجتمع تهدف إلى التأسيس لنظام اجتماعي متكامل خالٍ من الأوضاع والمشاكل الاجتماعية السيئة، وقادر على الفحص النظري الدقيق مع ضرورة إنتاج أفراد اجتماعيين قادرين على إعطاء الأحكام النقدية.

ولهذا يستعمل مفكرو هذه المدرسة مصطلح " –العقل النقدي– فهو العقل الذي ينظر للإنسان باعتباره كيانا مستقلا مبدعًا لكل ما حول من أشكال تاريخية واجتماعية، وهو قادر على إدراك الحقيقة ويتجاوز ما هو قائم من خلال نقده الممارسات والأفكار والعلاقات السائدة والبحث في جذور الأشياء...وانتقدا –العقل الأدائي– الذي يؤدي إلى استبعاد

[1]– جعنيني حبيب نعيم: مرجع سابق، ص 103.

الإنسان وتقليص عالم الحياة وهيمنة عالم الأدوات واستبعاد الكثير من جوانب حياة الإنسان المتنوعة والثرية" [1]

ويصر أنصار هذه المدرسة على التغيير كمفهوم لتجاوز الأوضاع الاجتماعية القائمة مع وضع الأساليب اللازمة لذلك، كما يجب أن يكون الفرد الاجتماعي هو صانع عملية التغيير دائما نحو الأفضل ويوجه هذا التغيير لمصلحة الفئات التي تريد ذلك وضد الفئات التي ترغب ببقاء الأحوال والأوضاع على حالها.

فعن طريق النظام التربوي ومؤسساته التربوية ومحتويات العملية التعليمية في المجتمع الرأسمالي يتم عرض النزعة الفردية أو الذاتية بصورة دائمة والتي تسهل عملية الهيمنة والسيطرة على عقول الأفراد والتبعية للنظام الرأسمالي.

وفي هذه المجتمعات الرأسمالية تقدم المؤسسات التعليمية المعرفة، هذه "المعرفة تحولت إلى أداة سيطرة بدلا من أن تكون أداة تحرر، وذلك عندما أصبحت مرتبطة بالغايات السياسية والاجتماعية التي تتوخى الهيمنة والسيطرة، أو بعبارة أخرى عندما ارتبطت فكرة السيطرة على الطبيعة بالسيطرة على المجتمع" [2]

---

[1]- المرجع السابق، ص 107

[2]- بومنير كمال: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت -من ماكس هوركهايمر إلى اكسيل هوينت-، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010،ص43.

كما ركزت على "دراسة المؤسسات التربوية والنظام المدرسي ومراحله التعليمية المختلفة، وظهور المدارس الشاملة الثانوية علاوة على تحليلهم نوعية المناهج والمقررات الدراسية التي وضعوها بأنها غير أكاديمية ولا تعبر عن موضوعات ذات طابع تقليدي متميز، ولاسيما المستويات العليا من التعليم في المدارس الشاملة...ومناقشة المشاكل المادية والاقتصادية التي تواجهها مؤسسات التربية والتعليم في المجتمعات الرأسمالية، ولاسيما مدارس المجتمعات المحلية التي يعيش فيها الأقليات السود" [1]

وكان اهتمام رواد المدرسة في المجال التربوي "ينحصر في تقديم منهج لتحليل نوعية العلاقة بين القوى الاجتماعية وبين النظام التربوي في المجتمع...وأيضا تقديم إطار لتحليل العلاقة بين القوى العالمية الكبيرة المسيطرة والبلدان النامية التابعة"[2]

ويعتقد مفكرو هذه المدرسة بأن المثقفين والمتعلمين هم أنجع العناصر القادرة على إحداث التغيير والثورة على الوضع الاقتصادي والاجتماعي السائد، "فآلية الخلاص الاجتماعي ليست الطبقة العاملة بل المثقفون والعناصر الأكثر تطورا من الطبقة العاملة فهم القادرون على التعرف على الإمكانيات الكامنة في الإنسان وعلى رؤية الماضي والحاضر والمستقبل"[3]

---

[1]- عبد الله محمد عبد الرحمان: علم اجتماع التربية الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007، ص 321.

[2]- جعنيني حبيب نعيم: مرجع سابق، ص 106.

[3]- المرجع السابق، ص 107.

ولم ينس رواد مدرسة فرانكفورت مؤسسة الأسرة كمؤسسة تربوية لها ارتباط بالنظام الرأسمالي ولها أدوارها ومهامها، فهي المؤسسة التي تؤثر في شخصية الفرد الاجتماعي، وهي القادرة على تغيير الوضع القائم داخل النسيج الاجتماعي وداخل نفسها أيضا، ومن خلال بعض الفاعلين فيها يمكن الحصول على قوة بنّاءة قادرة على إحداث التغيير.

وتجدر الإشارة إلى أن "الشخصية السلطوية الفعالة في الأسرة هي شخصية الأب...فالأب هو السيد في البيت لأنه يكون عادة كاسب الأجر" [1] ، فكاسب الأجر حسب الفرانكفورتيين له كامل السلطات داخل الأسرة، ومن يفقد هذه القدرة الاقتصادية سيفقد لا محالة هيمنته وصلاحياته داخل الأسرة، وبالتالي فالسلطة داخل الأسرة مرتبطة ارتباطا قويا بالجانب الاقتصادي للفاعلين داخلها.

بعض رواد مدرسة فرانكفورت وإسقاطاتهم التربوية: ارتأينا في هذا العنصر أن نشير إلى بعض الرواد كل حسب المرحلة التي عايشها، ومن بين ذلك نجد:

- **ماكس هوركهايمر (الجيل الأول للمدرسة):**

كان من مؤسسي هذه المدرسة وهو أول من أشار لهذا المصطلح (مدرسة فرانكفورت) عام 1938 في دراسة حول النظرية النقدية والنظرية التقليدية والتي اعتبرت

[1] – فيل سليتر: مدرسة فرانكفورت – نشأتها ومغزاها – وجهة نظر ماركسية، ترجمة خليل كلفت، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط2، 2004،ص172.

الوثيقة الأساسية في توضيح التوجه الفكري للنظرية النقدية، وقد انطلق هوركهايمر وزميله أدورنو من مشروع عصر التنوير "بما هو لحظة تأسيسية للحداثة الغربية، ومن أهم الأسس والمبادئ التي قام عليها المشروع العقل والحرية والعدالة واحترام كرامة الإنسان وحقوقه وفكرة التقدم الإنساني، وهذا قصد التخلص من الظلم الذي ظل يعاني منه الإنسان ومن مختلف أشكال السيطرة التي عرفها في ظل المؤسسات الدينية والسياسية التي كانت سائدة في أوربا في تلك الفترة" [1]

وفي ظل النظام الرأسمالي حسب هوركهايمر فإن دور الأسرة كمؤسسة تربوية هو دور ضعيف وسلطة الأب هي سلطة ضعيفة داخل الأسرة على اعتبار أن كسب الأبناء لأجر ما أو استغلالهم اقتصاديا يفقد صلاحيات الأب داخل الأسرة، هذا ما توصل إليه من خلال الاستبيانات التي وزّعها المعهد على المراهقين بصورة خاصة، فهم "يصبحون أكثر استقلالا عن السلطة الأبوية ويصبحون في واقع الأمر قوة اقتصادية لا يستهان بها" [2]

وبالتالي فإن الرأسمالية تفكك بطريقة غير مباشرة الأسرة، فالاستقلال المادي للأولاد وتعدد انتماءاتهم خارج الأسرة من شأنه إضعاف هيمنة وسلطة الأب داخل الأسرة وتحطيم الحياة الأسرية، لذا يصر هوركهايمر وزملاؤه على التصدي لذلك وإنقاذ الأسرة من

---

[1]- بومنير كمال: مرجع سابق، ص 12.

[2]- فيل سلتير: مرجع سابق، ص 172.

هذا الوضع المخيف، لتقوم بتأدية أدوارها وتربية الأطفال ليكون ورثة المستقبل في عالم اجتماعي متغير وأفضل من سابقه.

- **يورغن هابرماس (الجيل الثاني للمدرسة):**

ولد سنة 1929، ويُعد من أبرز المفكرين الألمان، فهو الوريث الشرعي المعاصر لتركة مدرسة فرانكفورت، وقد انتقد الرأسمالية الحديثة التي تتميز بهيمنة الدولة على معظم مناحي الحياة الاجتماعية، ويؤكد هابرماس على أن العمل واللغة هما اللذان يساعدان الإنسان على تغيير حياته وبيئته الخارجية، فعن طريق العمل يتميز الفرد عن الآخرين، وباللغة يتم التواصل بينهم، ويتم التفاعل والحوار الحر القضايا الاجتماعية العامة، كل هذا من أجل تحقيق الأهداف المرجوة والمصالح العملية والمصالح التحررية كما يسميها هابرماس.

فتدخل "الدولة وسيطرتها أدّى إلى نمو العقل الأدائي وأدّى إلى ظهور ما أسماه هابرماس 'اليوتوبيا السلبية' والتي تعني سيطرة الدولة أصبحت كاملة، حتى أصبح الإنسان غير قادر على التفكير أو رؤية النظام البديل الذي يحقق له أكبر من ذلك النظام الذي يعيش في ظله" [1]

كما أن الأزمات والمشاكل التي تحدث هي أزمات لصيقة بالنظام الرأسمالي نتيجة للصراعات وفشل الدولة في إيجاد الحلول المناسبة للمشاكل في الأنساق الاقتصادية،

[1]- القريشي ناصر حسين: المداخل النظرية لعلم الاجتماع، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص351.

الاجتماعية، الثقافية، السياسية. وقد ناقش أيضا هابرماس العلاقة المتداخلة أو الدور الوظيفي للمؤسسات التربوية والاقتصادية والثقافية و وسائل الإعلام في عملية التحديث والتطور، حيث يتم إعداد أفراد عقلانيين ومثقفين متحررين وذلك بتوجيه من المؤسسات التربوية والتعليمية.

وفي كتبه الهام 'نظرية التفاعل التواصلي' قام هابرماس "بإعادة تأسيس النظرية النقدية على ما يسميه العقلانية التواصلية المرتبطة جوهريا بعملية التنشئة الاجتماعية التي يخضع لها الأفراد بصورة عفوية وأساسية، وذهب إلى القول بأن عملية الاندماج الاجتماعي لا تتحقق إلا بواسطة التوافق أو التفاهم المتضمن للأفعال اللغوية للمشاركين والتي تفترض الاتفاق أو الإجماع بين هؤلاء المشاركين في عملية التواصل" [1]

فالتواصل والحوار هو فعل مبني على رموز، تكون هذه الرموز مقبولة ومعترف بها من طرف عدة أشخاص للوصول إلى أمور يُتفق عليها، "فالحوار في سياقه الاجتماعي أداة للقضاء أو لتجنب الحالات الباثولوجية (المرضية) التي تصيب المجتمع في لحظة تاريخية معينة، ولتحقيق الاندماج الاجتماعي لأعضائه من دون عنف أو تطرف قصد الوصول إلى

[1]- بومنير كمال: مرجع سابق، ص 118.

حقائق متوافق بشأنها، بحيث يلعب الحوار فيها جورا مركزيا تجنبا للصراعات الاجتماعية التي تهدد المجتمع" [1]

وفي مؤسسة الأسرة التربوية أيضا فإن التبادل والتفاعل الرمزي واللغوي بين الوالدين من والأبناء أو بين الزوجين ضروري للتربية السليمة، فالتواصل الجيد بين الآباء والأبناء يرفع من المستوى العاطفي والشعوري بينهم، ويبصم على علاقات هادفة، وردود فعل إيجابية، وتنشئة أسرية سليمة، حيث يتكلم الطفل بأريحية كاملة، ويعبر عن طموحاته وآراءه ويصارح بمشكلاته وأخطائه.

فالرجل الذي يبني علاقاته مع زوجته وأبناءه على التواصل والحوار الإيجابي من شأنه أن يضيّق قدر الإمكان المشاكل السرية، وباستطاعته احتواءها عن طريق التربية التفاعلية، كل هذا من أجل تأمين التربية السليمة، وتأمين بناء شخصية سوية للأطفال، ويساعدهم على فهم وإدراك ما سينتظرهم في حياتهم الاجتماعية والتربوية.

- **أكسيل هونيت (الجيل الثالث للمدرسة):**

لقد استند "هونيت على هيغل لتأسيس نظرية الاعتراف...وحسب هونيت فإن هيغل هو أول فيلسوف حاول دراسة العلاقات الاجتماعية بوصفها علاقات بين ذوات تبحث

[1] – المرجع السابق، ص 113.

عن الاعتراف المتبادل...ويتفق مع هابرماس على ضرورة الانتقال من فكرة الذات إلى التذوات الحديثة وبمختلف مظاهرها كالعمل والتفاعل والتنشئة الاجتماعية ودور الثقافة" [1]

فالاعتراف آلية مهمة لبعث علاقات اجتماعية بنّاءة والتعرف على ذوات الآخرين واهتماماتهم وصنع مناخ اجتماعي تربوي قائم على الاحترام المتبادل والتفاعل الجيد ومعرفة حاجات الآخرين وتوقع ردود أفعالهم، إضافة إلى الحد من الخلافات الاجتماعية والصراعات القائمة على الظلم والقوة، مع السيطرة على كل المشكلات التي تكون أثناء التفاعلات والعلاقات الاجتماعية.

ويربط هونيت نجاح نموذج الاعتراف بوجود ثلاثة مبادئ معيارية؛ هي: [2]

- ✓ **الحب**: والذي يعتبر علاقة تفاعلية متداخلة بين العلاقات العاطفية وقدرة الفرد على الشعور بقيمته ومكانته التي تجعله يثق في نفسه...حتى يصل إلى مستوى احترام الذات.

- ✓ **الحق**: وهو نوع من الاعتراف المتبادل بين الذوات، حيث أنه اعتراف قانوني يضمن حرية الأفراد واستقلالهم الذاتي...وذلك وفق المسؤولية الأخلاقية لكل أعضاء المجتمع.

---

[1]- بومنير كمال: مرجع سابق، ص 105 ص 107.

[2]- المرجع السابق: ص108 ص 110.

✓ **التضامن**: وهو الشكل الثالث من الاعتراف الذي يسمح للأفراد تحقيق ذواتهم والحصول على...التقدير الاجتماعي والأخلاقي من طرف الآخرين.

وبالتالي فالاعتراف بأشكاله الثلاثة مرتبط بتحقيق الثقة بالنفس واحترام الذات وأخيرا تقدير الذات.

فالطفل داخل الأسرة لابد أن يحصل على الاعتراف في علاقته بالوالدين أو الإخوة، وذلك ببناء علاقات أسرية جيدة تمنحه الثقة بالنفس مع ضمان حريته واستقلاليته في طريقة تفكيره وإشباع حاجاته وحقوقه حتى يحترم ذاته، وأخيرا الحصول على تقدير الآخرين في علاقته بهم والاعتراف بقيمة ما يقوم به حتى يصل إلى تقدير الذات.

ويصر هونيت على أن الأسرة هي المؤسسة التربوية الأولى التي يحصل فيها الفرد على الاعتراف وهي "التي تمكنه من تحقيق مقصد أساسي يتمثل في الثقة في النفس، والتي من دونها لا يستطيع أن يحقق وجوده الفردي والمشاركة في الحياة الاجتماعية أو الحياة العامة" [1]

وهذا الاعتراف كفيل بضحد كل الآفات الاجتماعية نحو الزوال، وأساسي في الحد من المشكلات الاجتماعية كالعنف والانتحار...الخ

[1]- المرجع السابق،ص110

وداخل المؤسسة التعليمية فإن المشرفين التربويين من مديرين ومعلمين قادرون على إخراج أشخاص أكفاء لهم قدرات ومعارف عالية لو أحسنوا الاستثمار في هؤلاء المتعلمين بإتباع ثقافة (نموذج) الاعتراف، فالتفاعل والتواصل المبني على تقدير ذات المتعلمين والرفع من قيمتهم ومكانتهم داخل الحجرة الصفية وداخل المؤسسة التعليمية من شأنه رفع المستوى المعرفي والسلوكي للمتعلمين، وإتاحة الفرصة للمشاركة في الأنشطة الصفية، ومراعاة الفروق في مستوياتهم وقدراتهم، والاهتمام بميولاتهم وإشباع حاجاتهم، كل هذا من شأنه أن يأسس لحجرة صفية وعملية تدريسية أساسها الاعتراف بالأفراد وقوامها تقدير واحترام ذواتهم ونتيجتها الحصول على عملية تعليمية تعلمية ناجحة وذات جودة مركزها المتعلم ومحركها المعلم.